

بسم الله الرحمن الرحيم  
شرح رياض الصالحين  
شرح مقدمة وأحاديث الباب

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلما ذكر المؤلف سر حمه الله -محبة الله والأسباب الجالبة إليها، وأورد ما يتعلق بمحبة الصالحين أورد بعد ذلك باباً له اتصال بما قبله، وهو باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين.

قال الله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}** [الأحزاب: ٥٨]، أي: بغير حق، بغير سبب اقتضى هذه الأذية كإقامة الحد مثلاً، أو التعزيرات، أو القصاص، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا لا شك أنه مبرر، ولا يدخل في هذه الآية، وإنما **{يُؤْذُنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا}** من غير جرم، من غير سبب يذرون فيه بهذه الأذية، ليس ذلك على سبيل المقاصلة بالمثل كالانتصار، انتصار الإنسان من ظلمه بمثل مظلمته، أو نحو هذا، فهو لاء متوعدون بقوله تعالى: **{فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}**، فهو لاء يتحملون الوزر، وعلى كل حال هذا القيد **{بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا}** مبين للواقع، وذلك بأن أذية المؤمنين تارة تكون بحق، وتارة تكون بغير حق، بخلاف أذية الله وأذية رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولها فرق الله بينهما، قال: **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ}** [الأحزاب: ٥٧]، ولم يقل: بغير حق؛ لأن أذية الله وأذية الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن تكون بحق.

وقال تعالى: **{فَلَمَّا تَقْهَرَْْ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَقْهَرْْ}** [الضحى: ٩-١٠]، وقهراً للبيت: دفعه عن حقه، أو الإغاظة عليه بالقول، وأن يُزجر، فإنه يكفيه ما يعانيه من كسرة القلب، وما يجده في نفسه من الضعف والعجز عن الأخذ بحقه، ورد المظلمة، فمثل هذا يحتاج إلى الحنوه والرحمة والقول الطيب، والكلام الحسن، فهو لا يحتاج إلى قهر، يكفيه ما يعانيه، ونحن قد لا نشعر بمشاعر اليتيم، الطفل الصغير إذا تأخر أبوه فإنه يجد مشاعر غريبة لا يمكن أن توصف في نفسه، فكيف لو حل بأبيه شيء من المكرور؟ كيف لو مات أبوه؟ لا تتصور مشاعر هذا الطفل وهو يرى الصغار يذهبون ويطوفون ويلعبون، ثم بعد ذلك كل واحد منهم يأوي إلى حجر أبيه، وهذا الصغير ليس له أحد يأوي إليه، لا تتصور حال هذا الطفل الصغير حينما يكرم الأطفال في المدرسة، أو يحضر الآباء في مجلس الآباء، وكل واحد يأتي لأبيه بشهادته أو بالجائزة أو بنحو ذلك، وهذا الطفل الصغير يتلفت، وتخنقه العبرة، ويملا عينه الذل والمسكنة والشعور بالضعفة والهوان، فهو كسير الجناح، لا يحتاج إلى زيادة على ما هو عليه، وهذا الدين دين الرحمة ومراعاة المشاعر -مشاعر الآخرين-، فالبيت من الضعفة في المجتمع، **{فَلَمَّا تَقْهَرَْْ فَلَا تَقْهَرْْ}**؛ لأن الله قال له قبل ذلك: **{لَمْ يَجِدْ يَتِيمًا فَأَوَى}** [الضحى: ٦]، أو لا، وبالمقابل **{فَلَمَّا تَقْهَرَْْ فَلَا تَقْهَرْْ}**، قال: **{لَمْ يَجِدْ يَتِيمًا فَأَوَى وَوَجَدَ ضَالًا فَهَدَى}** [الضحى: ٧-٦]، ضالاً بمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما قال الله -عز وجل-: **{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ}** [الشورى: ٥٢]، فهو لا سبيل له إلى النبوة والوحى، ولكن الله -عز وجل- هداه إلى ذلك

كله، فقال هنا: **{وَأَمَّا السَّائِلُ فَإِنَّهُ تَنَاهٌ}** [الضحى: ١٠]، السائل هنا يدخل فيه السائل بنوعيه، فهي تشمل أقوال المفسرين، السائل الذي يسأل عن مسائل العلم، إنسان يريد أن يسأل، فبعض الناس لا يحسن أن يسأل أو لا يحسن أن يتصل، يتصل في أوقات ليست هي مناسبة للاتصال، أو يلح، أو يؤدي السؤال بطريقة لا تليق أبداً، أن يستحلف مثلاً المسئول -المفتى-، يقول له: أسألك بالله أن تخبرني عن ما تعتقد في هذه القضية، وهل سيخبرك عن شيء يغشك فيه؟!، لكن الإنسان أسوته في هذا داود -عليه الصلاة والسلام-، والنبي -صلى الله عليه وسلم-، فالله أخبرنا عن الخصم الذين تصوروا المحراب، **{إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاؤُودَ فَفَزَعُ مِنْهُمْ قَالُوا إِنَّا تَحْفَ خَصْمَانِ بَغَيْ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}** أي: تصوروا عليه مكانه الذي يخلو به، ولم يدخلوا من الباب، ولا استأندوا، **{فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ}** [ص: ٢٢]، ومع أنهنبي وملك إلا أنه يحتاج إلى هذا التوجيه، وهذا سوء أدب مع النبي من أنبياء الله، وهو ملك في نفس الوقت، وجراة عليه، فالمعنى أن السائل أحياناً قد يخرج المسئول عن طوره فيغضب، لكن مهما كان فإنه لا يصح أن يطرق السماعة وهذا يكلمه.

وكذلك السائل، سائل العطاء الفقير، يمكن أن يقال له: الله -عز وجل- يعطيك، الله يرزقك، الله كذا، أما أن يرفع الصوت عليه فهذا لا يجوز أبداً، حتى لو ظن أو افترض أن هذا الإنسان يتصنع أو أنه ليس بفقير حقيقة، هو سائل، فيمكن أن يبين له أو يكف، أو نحو ذلك بأسلوب لبق، بدون رفع صوت، وبعض الناس إذا رأى أحداً يسأل في المسجد رفع صوته عليه وزجره أمام الناس، وتكلم عليه، ولربما دفعه دفعاً، فهذا لا يجوز، يكتفيه ذل المسألة، نعم هو ليس له أن يقف أمام الناس يخطب ويشغلهم عن الأذكار، لكن ليس بالزجر، تقول له: بارك الله فيك اجلس في آخر المسجد والناس يعطونك، المساجد ما بنيت لهذا، لكن من غير زجر. فالمعنى هنا قال: **{وَأَمَّا السَّائِلُ فَإِنَّهُ تَنَاهٌ}** [الضحى: ١٠]، والنهر: هو الإغلاظ في القول، بمعنى الزجر والإغلاظ، نهره: بمعنى شد عليه صوته ورفعه، واحتد في مكالمته.

قال: وأما الأحاديث فكثيرة منها حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- في الباب قبل هذا ((من عادى لي ولينا فقد آذنته بالحرب))<sup>(١)</sup>، وهذا سبق الكلام عليه.

قد يكون هذا ولينا من أولياء الله، فيكون ذلك سبباً لإيدان الله -عز وجل- هذا الإنسان بالحرب. ومنها حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عنه- السابق في باب ملاطفة اليتيم، قوله -صلى الله عليه وسلم-: **((يا أبا بكر لئن كنتَ أغضبَتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ))**<sup>(٢)</sup>، وذلك أن الضعف: بلا، وصهيباً، وعمر بن ياسر كانوا جلوساً فمر أبو سفيان بعدهما أسلم، فقالوا: لم تأخذ سيف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر -رضي الله تعالى عنه-: تقولون هذا لزعيم قريش، أو نحوها، يعني: هؤلاء أعبد، أرقاء، معتقون، ويقولون هذا عن الرجل الأول في قريش، زعيم قريش، فأبو بكر قال هذه الكلمة، فرجع وأخبر النبي -صلى

<sup>١</sup>- أخرجه البخاري، كتاب الرفاق، باب التواضع، (١٠٥/٨)، رقم: (٦٥٠٢).

<sup>٢</sup>- أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب من فضائل سلمان، وصهيب، وبلال -رضي الله تعالى عنهم-، (٤/١٩٤٧)، رقم: (٢٥٠٤).

الله عليه وسلم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يا أبا بكر لئن كنتَ أغضبتمْ، لقد أغضبتَ ربك)) صهيب وعمار وبلال، فذهب إليهم واعتذر إليهم، وسألهما: هل أغضبتم؟ فقالوا: لا يا أخي، غفر الله لك. وأيضاً ذكر حديث جندي بن عبد الله رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((من صلَّى صلاة الصبح فهو في نمة الله...))<sup>(٣)</sup> أي: في أمان الله وضمانه، وهذا مقيد في الرواية في صحيح مسلم ((من صلَّى الصبح في جماعة)) وليس في البيت، ((من صلَّى صلاة الصبح في جماعة فهو في نمة الله))<sup>(٤)</sup> في أمانه وضمانه، قال: ((فلا يطلبنكم الله من نمته بشيء))، معنى: أن من أخفَر هذه النمة، من اعتدى عليه، من ظلمه، من أساء إليه فمن الطالب بهذا الحق وبهذه النمة؟.

الجواب: هو الله -جل جلاله-، فمن كان طالبه الله-تبارك وتعالى- فإنه مدركه لا محالة، فالإنسان يتوقى ويحذر من ظلم عباد الله، ومن التعدي على أعراضهم بالغيبة، أو على أموالهم بأخذها بغير حق، أو ظلم العمال المساكين، يأتي الشهر والشهر والشهر وما أعطاه حقوقهم.

قال: ((فإنه من يطلبه من نمته شيء يدركه ثم يكتبه على وجهه))<sup>(٥)</sup>: أي: يلقى على وجهه ((في نار جهنم))، رواه مسلم.

فهذه أحاديث هذا الباب، وهو باب كما ترون قصير.

وأسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا وإياكم لكل خير، وأن يعيننا وإياكم على نكره وشكريه وحسن عبادته، وصلَّى الله على نبينا محمد، وآلِه وصحبه.

---

٣- أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، (٤٥٤/١)، رقم: ٦٥٧.

٤- لم أجده بهذا اللفظ.